

فردريك هريسن

FREDERIC HARRISON.

ابننا البرق ان الشيخ الجليل والكاتب الأکتب فردريك هريسن توفي فجأة وهو في الحادية والثسين من عمر قضاء بين الحبار والدفاتر بطم وبنظر وبجواهر بما يراه حقاً ويحمل على خصومه في الدين والسياسة والاجتماع حلات صادقات . لكن سموا افكاره وبلاغة انشائه ونبالة مقاصده وتفانيه في حب وطنه وابناء نوعه كل ذلك حبيبه الى فراء ما كتبه ولو من خصومه

ولد في مدينة لندن في ١٨ أكتوبر ١٨٣١ وابوه تاجر من تجارها وأرسل الى كايه الملك فيها وممره ١١ سنة فاتم دروسها وخرج منها سنة ١٨٤٩ وليس من تلامذتها اعلى منه الا تلميذ واحد . وكان قد اختير تلميذاً في جامعة اكسford اي شح التحم فيها مجاناً لاجتهادها فاتم دروسه وجعل مدرساً فيها فاقام ثمانى سنوات تلميذاً ومدرساً كانت محكماً لعملة وعقيدته فوصل الى مارسخ في ذهنه وجرى عليه حياته كلها

دخل شديد التمسك بشائير الدين فخرج كثير الشكوك وقاده ذلك الى القول بذهب اهل البوزيتيفزم Positivism (اي الدين لا يزمنون الا بما تقوم الادلة القاطعة على صحته وقد اطلقنا عليهم اسم الفلاسفة اليقينيى وعلى منذهبهم اسم المذهب اليقينيى) جريباً بحرى استاذو رتشرد كونغريف Richard Congreve من زعماء المذهب اليقينيى في البلاد الانكليزية ولكنه لم يعتنق هذا المذهب اعتناقاً تاماً الا حينما صار عمره ٣٥ سنة وقد قال في ذلك ما ترجمته

« بلغت الخامسة والثلاثين فلما تشبعت نفسي من المذهب اليقينيى فقد تفرغت لدرسه عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة كانت لي اللام بذهب كونت وانا تلميذ ولكنني لم اتف على تفاسيله الا لما بلغت الخامسة والشرين »

وسنة ١٨٦٦ ظهر كتاب « السياسة الدولية International Policy » لهرود رتشرد كونغريف وكان هريسون من الذين كتبوا فيه وكذلك الاستاذ بيترلي والمستر بمر والدكتور بروجس والمستر تشارلس كوكسن والمستر هتون

وكامهم من انصار المذهب اليقيني الذين اتخذوه قانوناً للانكار والآداب. وكان هريسن اشدهم به تمسكاً وله انتصاراً وعنه دفاعاً وهو الذي انشأ المدرسة اليقينية في بلاد الانكليز سنة ١٨٧٠ وكان ركن الجمعية اليقينية ومرشدها

لكن مقام هريسن في البلاد الانكليزية وفي غيرها من البلدان مبني على آرائه السياسية والاجتماعية لا على اقواله الفلسفية والدينية فقد بقي خمسين سنة يشير الى المانيا بين المرتاب ميئناً انها تضرر السوء لبلادهم وللعمران اجمع ونشر سنة ١٩١٥ كتاباً عنوانه «الخطر الالمانى The German Peril» ونحو نصفه مقالات نشرها في ازمئة مختلفة وكأها تنبؤ بما كانت المانيا تتوخاه. ونحن نكتب هذه السطور وهذا الكتاب امناً وفيه خلاصة آرائه السياسية والاجتماعية والى القارىء بعض امثلة منه. كتب في يونيو سنة ١٨٦٢ ما ترجمته

« ان مصلحة انكلترا وشرفها كدوله اوربية مرتبطان باعادة بولونيا الى اصلها. وقد تنال هذه البنية بالحكمة والمهنة من غير حرب ولكن اذا كان لا بد من الحرب فلتكن ويجب على انكلترا ان تعاون فرنسا في هذا السبيل »
وكتب سنة ١٨٦٦ بعدما تغلبت روسيا على النمسا وقويت شوكتها فاجست فرنسا منها شراً

« ان الاساس الوحيد الذي يجب ان تؤسس عليه السياسة الانكليزية هو التعاضد التام مع فرنسا. ولا اعني بذلك ان نتحالف فرنسا ولا ان نوافق على السياسة النيبوليونية بل ان نتفق مع الشعب الفرنسي على سياسة عامة فاننا اذا اتفقنا على اتفاقاً دائماً في السياسة عدلت روسيا عما تنويه لضرب اوربا ورأت روسيا انه لم يبق في الاحتمال ان يقع بين انكلترا وفرنسا اختلاف يمكنها من اتباع سياستها الغاشمة سياسة الصلف والظنرة. وتجد الدول الصغيرة ما يزيل مخاوفها من اقتحام بلادها

وكتب في ديسمبر سنة ١٨٧٠ لما كانت فرنسا مشبكة في الحرب مع المانيا « ان الالمان يحاربون قصد المجد وغرضهم ان يبنوا امبراطورية جديدة على السيف »
تغالت في ذلك كثيرين من مواطنيه حتى الاحرار منهم

وانبأ بالحرب الاوربية قبل وقوعها وقال ان المانيا كانت تستعد لها ولا بد من

ان نضرم نارها . وكتب في نوفمبر سنة ١٩١٢ مقالة مهيبة نشرت في اول يناير سنة ١٩١٣ اكد فيها ان المانيا تنأهب لهذه الحرب وقوله منها « ان مفتاح السياسة الاوربية هو النظام البديع في المانيا الذي اعددها للحرب والعلم والصناعة . مركزها في قلب اوربا بين سبع ممالك مختلفة معادية لها وقلعة سواحلها البحرية وعمو سكانها وفوق ذلك كاهل كبرياؤها وطمعها وتمطشها للتوسع . امة عظيمة خسة وستون مليوناً من النفوس لها من وسائل السلم والحرب ما لا يحده ومن الاعتداد بالنفس ما لا يقف عند حدة . امة مثل هذه نجد نفسها عموطة بمحلقة محكمة تمنع توسعها وتقف دون مطامعها هناك بركان يتهباً للانفجار تحت نظام الممالك الاوربية

« لو كان الشعب الالماني مؤلفاً كله من اهل الزراعة محبي السلام ومن الصناع القانمين بصناعاتهم . ولو كان الحزب الاشتراكي فيها قادراً ان يكبح جماح رجال السياسة ولو كان امبراطورهم يستطيع ان يعمل دائماً بالحكمة والاعتدال كما عمد لما اوجس جيرانهم منهم خيفة . ولكن كلمة «لو» لا تفيد شيئاً في عصرنا فان في المانيا غير الستين مليوناً من الصناع والعمال محبي السلام ملايين من رجال الحرب الذين لا يحملون الا بالاسلحة ولا يقنعون الا اذا نالوا الكليل الطفر في حومة القتال . فيها اوف من اهل النظرسة الذين يمشون للحرب ويفتدون من الحرب ولا عمل لهم الا التأنهب للحرب وقد ورنوا ذلك ابا عن جد وهم اصحاب السيادة والكلمة كلتهم وفي يدم تدير الامبراطورية الالمانية سياسياً وحريةياً يناصرهم في ذلك جماعة كبيرة من رجال انقل والتعلم »

وعثل هذه الحدة وهذا البيان كان يتقد كل نظام وكل عمل براه مناقضاً للعدل والانصاف ولمصلحة بلادهم . وكان من رأيه ان تتخلى انكثرا عن كل مستمراتها التي سكانها من غير الشعب البريطاني

واقترن سنة ١٨٧٠ ببنه عمه فرزق منها ابنة وأربعة أبناء جرح واحد منهم في الحرب العظمى سنة ١٩١٥ جروحاً قضت عليه
وكانت وفاة هريسن في الرابع عشر من شهر يناير الماضي قضى مذكوراً
بفضائله مأسوفاً عليه من مربيهه الكثيرين